

القمر وأسماءه في أطواره وأحواله

للدكتور عبد الرؤوف هببر

القمر هو ذلك الجرم السماوي التابع للأرض، المعروف، قيل: هو مسمى بلون نوره، ذلك ان القمر هي البياض فيه كُدره: تقول: شاة قمرء وكبش أقمر، اذا كان لونها كذلك.

قلت: بل ان أفعال فعلاء للون مشتق من الجامد «قمر»، ولما كان القمر لا يعرف إلا بنوره ذي اللون المعهود فقد اشتقوا منه، أما رأيتهم يفعلون ذلك في غيره فيقولون: أغبر وأعفر وأملح وأدهس من الغبار والعفر (التراب) والملح والدهس وهو الرمل اللين، وانما سمي القمر لاجتماعه وانقطاعه، وكل قاف فميم الى اجتماع وانقطاع.

ومن ذلك القم وهو جمع القمامة أو نحوها وعزلها والقمح، وحبته تكون مجتمعة منقطعة عن سواها، والقمص: التدفع على الماء ومنه القميص لانك تلبسه مجتمعا فيه منقطعا عن سواك. والقماص في الدارجة الفلسطينية هو القطعة من الطين كالكرة. والقمط، وهو لف الطفل بحزام يجمعه ويشده بعضه الى بعض. والقمح قطع واجتثاث، والقملة معروفة، والقمة من الجبل، لارتفاعها وتفردتها بالبروز.

وقد عرف العرب أطوار القمر منذ أمد بعيد، وكانوا يعتمدون دورته، وما زالوا، في التعليم على حدود الزمان والطبائع والاحوال شأنهم في ذلك شأن

غيرهم من الامم العريقة . فقد كان له أثر جليل في حياتهم ، حيث «أنسوا به لانهم يجلسون فيه للسمر ويهديهم السبيل في سرى الليل في السفر ويزيل عنهم وحشة الغاسق وينم عن المؤذى والطارق» (ابن منظور - نثار الازهار ص ٥٧) .
وقال حسان السعدي في أطواره :

ومهما يكن ريب المنون فاني
أرى قمر الليل المعذب كالفتى
يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه
وصورته حتى اذا ما استوى؟؟
تقارب يخبو ضوءه وشعاعه
ويمصح حتى يستتر فما يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه
وتكراره في اثره بعدما مضى

قال أبو الحسن : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى أن هذا الشعر من أقدم ما قيل في الجاهلية (ابو زيد - النوادر - ص ١١١، ١١٢ وهلال ماصح اذا نقص) .

وقد امتزجت بعض معارف العرب بالخرافة ، ويتجلى ذلك فيما كانوا يؤمنون به من أن القمر يخبو المواليده ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

إنى حلفتُ يمينا غير كاذبة
أنك أقلف الا ماجلا القمر؟؟
(ديوانه ص ٢٨٠) قاله في قيصر الروم .

وعرف العرب قرانات القمر المختلفة وأقنوا بها، الامر الذي أغناهم عن التقويم الشمسي، ولا سيما البادين منهم الى يومنا الحاضر وما ذلك الا لاطالة النظر في السماء والنجوم. وأذكر أن القحطانيين الذين يقيمون في الصبيخة الواقعة في حاشية الربع الخالي الشمالية الغربية يعلمون لتأبير النخل باقتران القمر مع الثريا ليلة السابع من الشهر. وجاء في الآثار الباقية (٣٣٦/٢) قول أبي الريحان البيروني في العرب انهم «كانوا أناسا أميين لم يمكنهم معرفتها (يعنى المنازل) الا بشيء يعاين، فعلموا عليها بالكواكب الثابتة التي اتفقت فيها، وجعلوا طلوعها في المشرق بالغداة بعد طلوع الفجر علما لحلول الشمس فيها... ثم قرضوا أشعارا ودونوا فيها التأثير الطبيعي المتناوب الموافق لطلوع كل واحدة منها ما وجدوه بالتجربة والامتحان ليسهل حفظها على الاميين. قال أحدهم (أسيد بن الحلاحل) (عن أنواء ابن قتيبة ص ٨٧).

إذا ما قارن القمر الثريا
لثالثة فقد ذهب الشتاء
وقال آخر:

إذا ما البدر تم مع الثريا
أتاك البرد أوله الشتاء

فأنت ترى أن القرانين المذكورين علامتان على طبعين مختلفين، فاذا نزل القمر منزلة الثريا الليلة الثالثة من الشهر، فذلك يعنى انصرام الشتاء ودخول الناس في الدفء والربيع. واذا نزل في منزلتها الليلة الخامسة عشرة (حينما يكون بدرا) فان ذلك ابتداء البرد والشتاء.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض احوال القمر، كما يتضح في قوله تعالى «وَالْقَمَرَ إِذَا تَسَّقَى» (الانشقاق ١٨) أي اذا امتلأ وكان بدرا، واتسق

بادغام فاء الفعل التي هي الواو في تاء الافتعال اذ الاصل «او تسق» في صيغة الافتعال من «وسق» بمعنى حمل والوسق الحمل، حمل البعير يكون عدلين وفوقهما على سنامه عدل أحدهما. وقال فيه عز وجل «حتى عادَ كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» (يسن ٣٩) وذلك في آخر ليلة من الشهر حيث يدق وينفوس كعرجون الذرة او النخيل.

كما اوضح القرآن الكريم شيئاً من معارف العرب بعرضه لسؤالهم النبي ﷺ عن الاهلة، حيث قوله تعالى «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ: قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجِّ» (البقرة ١٨٩) وهي صورة القمر في اطواره حيث اعرض عن الاجابة على سؤالهم عن العلة الفلكية بأن اجاب بما فيه الفائدة، ذلك ان الشمس والقمر وغيرهما من الاجرام انما هي مسخرة لاداء غرض، ومصداق ذلك قوله تعالى «وسخرَ الشمسَ والقمرَ كلَّ يَجْرِي الى اجلٍ مُسمى» (لقمان ٢٩).

كما عرض القرآن الكريم لحكمة أخرى في خلق الشمس والقمر تتمثل في قوله تعالى «وهو الذي جعلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ» (يونس ٥)، حيث أشار الى منازلها الى انها اداة تقدير الزمان ومعرفة الحسابات المختلفة. ونستدل من الآية على ان النور للقمر والضياء والضوء للشمس. غير ان العرب ربما استخدمت احدهما مكان الآخر للتشابه في الفعل الذي هو الكشف والانارة.

ويثنى القمر عَلَمًا على الشمس والقمر. ومن ذلك في المثل «أبهي من القمرين» (فرائد اللال ٩٧/١) أي أنور منهما، وذلك بتغليب القمر لانه مذكر. وهما النيران. قال عبدالله بن محمد بن ابي عيينة.

ولا تقولنَّ اني لست من أحد
(ولا) تمحق النيرين: الشمس والقمر
(المبرد - الكامل ٢٥٢/١) (ولا)، لا يستقيم به الوزن، ويصح (بأو) مكانها،
فهو من البسيط).

وهو الازهر، للونه، والشمس زهراء، قال امرؤ القيس في أسد:

ذو مقلة مثل السراج تزهر
(ديوانه ص ٣١٦) أي تضيء، والازهر صفة، وقد تقام مقام موصوفها.
قال مالك بن الربيع:

رغيف له فلكة ما ترى
وآخر كالقمر الأزهر
(المبرد - الكامل - ٣٠٢/١)

وهو الزمهرير، في لغة طيء، وأراه من الزهر بزيادة الميم وتضعيف الراء،
قال الراجز:

وليلة ظلامها اعتكر؟؟
والزمهرير ما زهر

(الزمخشري - الكشاف ٦٧٠/٤ عن ثعلب، والجوهري - الصحاح -
٢٢٠٣/٦).

وقد فسر به وبغيره قوله تعالى « لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً ولا زَمْهَريراً،
(الدهر ١٣).

وهو الباحور (عن ابن منظور في اللسان (بحر) عن ابي علي في البصريات، وانظر شاهد الساهور فيما يأتي) ولست ارى الباحور الا فاعولا من بحر، وهذه المادة تنصرف لدلالة اصلية على معنى الاتساع والامتلاء. وأراه القمر عندما يكون بدرا، وفي الدارجة الفلسطينية يقولون: بَحْرُ فلان اذا حذق وفتح عينيه اوسع ما تكون، والقمر عندما يكون بدرا يشبه ذلك، ولا سيما في ظلام الليل،

وهو الغاسق. وبه فسر قوله تعالى «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» (الفلق ٣).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: لعائشة و اشار الى القمر: تعوذني بالله من هذا فإنه الغاسق اذا وقب (ابن قتيبة - الانواء ص ١٣٥ واللسان (غسق) عن ثعلب، و(سهر) عن ابن قتيبة) والوقوب الاختفاء لحسوف او غروب. والغاسق فاعل من غسق بمعنى أظلم لان الحال تصير الى ظلام اذا اختفى.

ومن اسمائه في اطواره:

الشهر، وهو الهلال في الافق الغربي، ومنه الاشهار في الامور: اعلانها وليس العكس ذلك انه اذان في الناس بابتداء دورة زمنية جديدة.

وبه سميت مدة ثلاثين يوما شهراً، وهي من ظهوره الى ظهوره التالي في نفس المكان من السماء وفي نفس الموضع من الزمان. قال ذو الرمة:

..... يَرَى الشَّهْرَ قَبْلَ النَّاسِ وَهُوَ نَحِيلٌ

(اللسان: شهر، وليس في ديوانه)

أي يرى الهلال. وطريف أن اللفظ حي لدلته في لهجة بني شهر من

قبائل جنوب الحجاز الى يومنا الحاضر. وقد عده الجواليقي في المعرب (ص ٢٠٧) وليس بوجه، وان شابه نظيره السرياني (سهر) والعبري (سوح) واذا لا يعدو اللفظ أن يكون سامياً مشتركاً، ويدل على ذلك ما تشير اليه القوانين الصوتية حيث تناظر السين فيهما الشين في العربية، والهاء في العربية الحاء في العبرية.

وهو الساهور. وقيل: بل هو غلافه الصنوبري الذي تراه اذا خَسَفَ، وأيهما كان فهو في مبنى فاعول من السهر ويطلق على نور القمر، ومنه قيل للحديث في الليل سهر، لان الناس تجلس له في نور القمر. ولا مجال للقول ان (سهر، ساهور) معربان من السريانية. قال أمية بن الصلت:

لا نقص فيه غير أن خبيثه قمرٌ وساهور يُسَلُّ ويُغمدُ

(ديوان أمية القصيدة ٢٥ البيت ٤٠) والساهور هاهنا دارة القمر. وقال آخر:

كأنها عرقُ سامٍ عند ضاربه
أو شقة خرجت من جوف ساهور

(انواء ابن قتيبة ص ١٣٦) وهو في امرأة بيضاء جميلة شبهها بعرق الذهب في الصخر، وبقطعة خرجت من سواء القمر ويروى هذا الشاهد بكل من باحور وصاهور، لغة في الساهور، وناهور، ويفسر الناهور بالسحاب والشقة بالبرق.

والهلال، وهو القمر أول ما يظهر في الشهر الجديد حتى يبهر نوره النجوم. وهو فعال من هَلَّ بمعنى بدأ واستبان، ومنه استهلال المطر وانهلاله. ثم اطلق على القمر في ثلاث الليالي الاخيرة من الشهر لشبهه فيها به في اول الشهر.

والجمع أهلة. روي أن معاذ بن جبل وثلعبه بن غنم الانصاري، قالوا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ لا يكون على حالة واحدة؟

(الزنجشري - الكشاف - ٣٣٤/١) فنزل قوله تعالى «يسألونك عن الأهلة» (البقرة ١٨٩).

ومن شواهدنا لهذه المفردة قول الكميت في الجمع:
والغيث بالمتألفات من الأهلة في النواحر
(ديوانه ٢٣٣/١) وقال مالك بن الربيع:

كأن الرجل أسار من قراها
هلال عشيّة بعد السّرار

(ديوانه ٧٧) وهو في ناقة، لم يبق الرجل من متنها الا كالهلال اول ما يبدو في المغرب. ومن ذلك قول الكندي:

شفا من هلال ما يكاد يبين

(ديوان امرئ القيس ٢٨٦ ، ٣٠٩) أي حافة هلال لا يكاد يظهر، وتقول من الهلال لابتداء الشهر: أهلّ الهلال، وأهلّ، واستهلّ واستهلّ ولا يقال: هلّ.

وهو الازميم. ويخص به آخر الشهر، عندما يدق ويستقوس. قال ذو

الرمة:

قد اقطع الخرقَ بالخرقاء لاهية
كأنما آها في الآلِ إزميمُ

(شرح ديوانه ٢١٣) أي ربما قطعت الصحراء المديدة بالناقة التي يراها
الرحل ، فكأنها سواؤها اذا بدا في السراب هلال . والازميم إفعال من «زَم»
لدلالة على معنى الاتصال والاشتداد والامتداد ، او القطع .

وهو ابن مزنة . والمزنة السحابة «البيضاء» والقمر الى البياض «وسمي به
لأنها تحجبه ثم تنصرف من سُدّه فيبدو، فكأنها أم تحتضن وليدها ثم تطلقها» .

وقال عمرو بن قميئة :

كأن ابنَ مزنتها لائحاً
فسيطٌ لدى الأفق من خنصر
(ديوانه ص ١٩٣) شبهه بقلامة ظفر الخنصر لصغرها وانحنائها ولونها .

والبدر . وهو القمر ليلة تمه ، وهو القمر اذا اتسق ، أي امتلأ . ويكون
ذلك اذا قابل الشمس ليلة اربع او خمس عشرة . وسمي به لاحدى اثنتين هما :
١ - انه يبادر بالغروب طلوع الشمس ، وبالطلوع غروبها .
٢ - امتلاؤه وتمامه : حيث يقال : عين بدره ، اذا كانت عظيمة .
ومنه يقال لعشرة الآلاف درهم بدره ، لأنها من تمام العدد . قال
الكميت .

أغر كالبدري يستسقى الغمام به
كأن ديباجتى خديه من ذهب
(ديوانه ١٤١/١ وانظر لمثله عنتره ص ٨٦ : البدر ليلة تمه ، والشمردل
اليربوعي ص ٢٨٥) .

والزبرقان : وهو البدر سمي بترتيب ليلته في الاعداد، ذلك ان الزبرقان عدد خمس عشرة والقمر في تلك الليلة يكون بدرا او ناقصا نقصا لا يستبان .
وشأن الزبرقان في ذلك شأن هند وهنيدة وهندة في دلالتها على العدد (مائة) وتعد به للابل .

قال الشاعر في الزبرقان .

تضىء لنا المنابر حين يرقى
عليها مثل ضوء الزبرقان
(اللسان : زبرق)

وربما كانت الكلمة منحوتة من الزئبر وهو زغب المنسوجات الصوفية البراق ومن الزئبق، أو الزرقة وكلها الى اناة ولعان، كالبدر.

وفيما يتعلق بما بين المفردتين هند وزبرقان، والدلالة على العدد، فلعل الامر يكون مقلوبا وهو الارجح عندي، أي ان الدلالة على العدد منفرعة عن الدلالة على البدر، ولما كان البدر مقرونا بالعدد «خمس عشرة» او اربع عشرة فقد تحولت الدلالة تدريجيا الى العدد، وخص «خمس عشرة» لكمالها . اما (هند) فلعله اسم فتاة جميلة كان صداقها ابلا، فسيقت لها منها مائة، ثم كأنهم قالوا: عدد من الابل يعادل هنداً او ما مهرت به، ثم جرى الانتقال الدلالي . وقد كانت العرب على ذلك الى عهد قريب، وبعضهم ما يزال، اما سمعت قائلهم حيث يقول :

اما ابن حوط فقد اوفى بعدته
كما وفى بقلاص النجم حاديها

وهذه قصة تطول . وموجزها انهم نقلوا الصورة الى الاجرام السماوية
وقلاص النجم هي نجوم صغيرة بين الدبران والثريا . وحاديها هو الدبران .
زعموا انه اراد ان يخطب الثريا فساق لها مهرها عددا من النجوم هي التي امامه ،
والتي تعرف بقلاص النجم تشبيها بقلاص الابل جريا على عادة العرب .

ومن المفردات التي ترتبط بالقمر :

المحاق ، وتطلق على القمر في آخر ليليتين ، او ثلاث ليالٍ من الشهر ،
ينمحق فلا يبدو ، ويستسر في الاخرة منها ، ذلك انه يطلع من طلوع الشمس
فيبهر ضوءها نوره فيحتجب .

والبراء : وهي آخر ليلة في الشهر لتبرؤ القمر فيها من الشمس وخروجه
من الحجاب ، وقيل آخر يوم فيه لانه كأنه يتبرأ منه وابن البراء : أول يوم في
الشهر وهذا يؤكد ان البراء هي آخر ليلة فيه فكأنها ولدت اليوم الاول وقال
شاعرهم :

يا عين بكى عامرا وعبسا

يوما اذا كان البراء نحسا

(المخصص لابن سيده ٣٢/٩ ، ١٥) وليلة السرار : (انظر قول ابن
الريب في الهلال سابقا) وهي ليلة ثمان وعشرين ان كان الشهر تسعة وعشرين
يوما ، وليلة تسعة وعشرين ان كان ثلاثين والسرار فعال من «سر» بمعنى اسر
واستسر ومعنى استتر وكنتم وأخفى . ومنه السر الذي تخفيه .

وسميت تلك الليلة به لان القمر فيها يستسر فما يرى (راجع قول حسان
السعدي في البداية) وقد سمي العرب كل ثلاث ليالٍ من الشهر باسم مشتق
من عمل القمر او من العدد الذي تبلغه وبيان ذلك على النحو الآتي :-

ثلاث غمرر: ذلك انها تقع في اول الشهر، والغرة من كل شيء اوله .
فثلاث نفل: لازدياد مكث القمر فيها، ولاتساع النور شيئاً فكأنها تقدم
للناس نفلاً زيادة .

فثلاث تسع: لان نور القمر يبهر فيها نور النجوم ويغلبه . قال ذو الرمة
في ذلك :

حتى بهرت فما تخفى على احد
الا على اكمه لا يعرف القمر
(شرح ديوانه ٦٢٦)

فثلاث عُشر: لان اولها عاشره الليالي، او لانك تركبها من العدد
عشرة .

فثلاث بيض: لان القمر يعمر فيها السماء حتى الفجر الثاني (الصادق)
فهو بيض بنوره .

فثلاث درع: جمع درعاء، من قولهم شاة درعاء، هي التي ابيض ساثرها
واسود رأسها، ذلك ان اوائل هذه الليالي - رؤوسها - تكون سودا، لتأخر
القمر، وتستمر عقب ذلك نيرة الى مطلع الفجر .

فثلاث ظلم: لغلبة الظلام على النصف الأول وهو الذي يكون فيه
السمر ويستمر فيه العمل .

فثلاث حنادس: او دحامس بالقلب المكاني وابدال النون ميماً وهي من
الحندس: الظلام الشديد .

فثلاث دآدىء: جمع دأداً وهو البقية من الشيء، لانها من بقايا الشهر
ويقال في مفرداها دأداة، ودئداء، ودؤداء، . قال الاعشى :

تداركه في مُنْضِل الأَل بعدما
مضى ، غير دأء وقد كاد يعطب
(الجوهري ٤٨/١)

أي : غير بقية .
فثلاث محق : اذا كان الشهر ثلاثين ، والا فهي اثنتان ، وفيها ينمحق
الهلال ويقابل الشمس داخلا في الحجاب . وتسمى الاخيرتان :
ابنتي جمير ، والجمير الظلام .

ومن المفردات التي ترتبط بالقمر وغلافه .

الدارة والهالة والندأة :

وهي سواء ، وتطلق على الدائرة الغبارية النيرة التي تطيف بالقمر . وقيل
في الاخيرة انها الحمرة في الغيم لدى غروب الشمس وشرقها .

والدارة اصلا هي ما اطمأن من الارض واحاطت به الجبال وهي فعلة
من دار يدور ، واصلها دورة .

والهالة من الالهالة ، باسقاط الهمزة شأنها في ذلك شأن المصغر من أفعال
فعلاء حيث تقول «دريد» في اورد . والالهالة هي الشحم المذاب ، وقد سميت
الهالة به للونها . وقد ألف الكندي ، يعقوب بن اسحق رسالة في الهالات (ابن
أبي اصبيعة ٢٩٠) .

والندأة فعلة من نداء بمعنى خرج ، لانها تند عن سواء القمر خارجة

عنه .

والقسطلاني ، والقسطالة :

وبالنون مكان اللام ، وبالكاف مقام القاف فيها : وهي قوس قزح ،

وقيل : بل دائرة القمر. وأيا كانت فالقسطلاني هو الغيار، والشبه بينه وبين كليهما قائم، قال مالك بن الربيع :

ترى جدثا قد جَرَّتْ الريح فوقه
ترابا كلون القسطلاني هابيا
(الجوهري ١٠٨١/٥)

أي ترابا دقيقا.

والطفاوة :

دائرة الشمس، ودائرة القمر. والاصل فيها ان تكون لما على سطح ما في القدر من رغبة ودسم، فشبهتا به، كالهالة من الاهالة. وهي فعالة من طفا يطفو، اذا ارتفع فوق سطح سائل.

والمحو:

وهو الندبة والنكتة التي تراها في القمر، كالكلف. وهي الكلفة : قال

التهامي :

فبات يجلو لنا من وجهها قمرا
من البراقع لولا كلفة القمر

(عن قدرى طوقان في العلوم عند العرب ص ٧٥).

والكلف اصلا لون بين الحمرة والسواد. وقد شبه وجهها بالقمر ثم استنكف لوجود الكلفة فيه. وقال ابو تمام في الكلف:

الجواكلف، والجسنا ب، لفقده

محل وذاك الشق شق مظلم

(ديوانه ٢٤١)

أي مغبر ، كناية عن التشاؤم

والغممة :

وهي الا يرى الهلال في الوقت الذي يتوقع فيه طلوعه ، وذلك ليلة ثلاثين ، وفي الافق الغربي ، وقد يكون طالعا ولا يرى واذا غم هلال شعبان اكمل ثلاثين يوما . ومن ذلك في الحديث «فان غم عليكم فأكملوا العدة» (الموطأ - كتاب الصيام ٣/١٨) .

وفي رواية «فاقدروا له» أي قدروا للقمر السير في المنازل ، واحسبوا له وتبصروا في ذلك وعليه قامت رؤية الاستبصار ، التي ابتدعتها الفاطميون ، وهي مذهب الحُساب والفلكيين . أما رؤية الإبصار فهي ان يعاين القمر بالمجردة . اما كيفية الحساب له فنجملها فيما يلي :

تستغرق دورة القمر الظاهرة ثمانية وعشرين يوما واليوم أربع وعشرون ساعة ، والقمر يزداد مكثه في الليالي الاربع عشرة الاولى ثم يبدأ يتناقص في مكثه تدريجيا حتى يستمر ، ونصيب الليل من الساعات في الاعتدالين اثنتا عشرة ساعة ، ونسبة التزايد والتناقص في المكث ثابتة ، وبتقسيم ساعات الليل على الاربع عشرة ليلة ينتج ستة أسابيع ساعة هي مقدار تزايد المكث في كل ليلة من النصف الاول ومقدار التناقص في المكث كل ليلة من النصف الثاني . ويطلع القمر ليلة الثامن والعشرين قبيل شروق الشمس ، فان لم ير الصبح ذلك اليوم علم انه سيستمر ليلة التاسع والعشرين وان الشهر تسعة وعشرون يوما ، وان رثى علم انه سيستمر ليلة ثلاثين وان الشهر ثلاثون يوما .

ومن الامور التي تعرض للقمر الخسف نقول : خَسَفَ القمر ، وانخسف . قال تعالى «وَحَسَفَ الْقَمْرُ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ» (القيامة ٨ ، ٩) .

ولا نقول نُخِيفُ القمر. والخسوف هو ما يعرض للقمر (وربما جعله بعضهم للشمس ايضا) من انكدار او احتجاب كلي او جزئي بأن تتوسط الارض بينه وبين الشمس، ليلا، وذلك اذا مر بالارض الخط الواصل بين مركز الشمس ومركزه. ويزداد حجم الخسوف كلما ازداد انفرج الزاوية التي مركزها مركز الارض وطرفاها مركزا الشمس والقمر.

وقد اختلف في الخسوف والكسوف هما مترادفان ام ان لكل منهما دلالة خاصة. وفي حديث موقوف صحيح ان النبي ﷺ قال «لا تقولوا كَسَفَتِ الشمس ولكن قولوا خَسَفَتِ» (ابن حجر - فتح الباري ٢/٤٤٣).

وفي حديث آخر: ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد وفي رواية «لا يُخِيفَان» (ابن حجر - فتح الباري ٢/٤٣٦ ومسنند ابي حنيفة ص ٦٩) وفي هذا كل ما يشير الى جواز استخدام احدهما مكان الاخر، واللفظان مما تقارب لفظة ومعناه والكسف والخسف الى دلالة على معنى التغير والنقص والكاف اخت الخاء. وهما في بعض اللغات امر واحد فيعبر عنها في اليونانية $\epsilon\kappa\lambda\iota\psi\epsilon\iota\varsigma$ ومنها جاءت eclipses الانجليزية. وفي السريانية ܥܠܦܫܘܢܐ اقلفسز كاليونانية وربما اضافوا ܘܗܘܐ : دسها: القمر: اي خسوف القمر. أو ܘܕܥܘܪܐ : دشمشا: الشمس وقال ابن مقبل: وقد جمع الخسوف والكسوف للشمس:

بجمع رأته الجن فاختمت له

وللشمس ادنى للخسوف وأكسف

(ديوانه ١٩٤)

وهذا يؤكد ان العرب كانت توقع الخسوف موقع الكسوف والعكس. والوكس: وهو لغة، النقص. قال الكندي:

فأقول : انتِ من النساءِ ولا
يقبلن الا خُطَّةَ الوكُسنِ
(ديوان امرؤ القيس ٢٤٧)

ثم صرف لدخول القمر في المنزلة غدوة، كأنه قصر عن ادراكها ليلا
والتقصير نقص ومنه . وقيل : هي المنزلة التي يخسف فيها القمر اذا نزلها
والخسوف ايضا نقص .

والتجلى : هو خروج القمر (والشمس) من حيزي الخسوف والكسوف
وفي الحديث «فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس» (فتح الباري ٤٣٦/٢)
وحد صلاة الخسوف والكسوف الى التجلى .

والمقارنة أو القران :

وهما ان ينزل القمر في المنزلة من الثماني والعشرين نزولا حقيقيا أي ان
يتوسط الرقعة السهوية التي تحف بها نجوم المنزلة . أو أن يوازها شمالا أو جنوبا،
بحيث لا يتقدمها ولا يتأخر عنها . وهي المكالحة، وهي العِداد . والعرب تقول :
فلان ما يأتينا الا عداد الثريا، ولا يكون الا مرة واحدة في العام .

والعُدول : هو ان ينزل القمر في الفُرج التي تكون بين المنازل، والعرب
تتفاعل بذلك وتكره المكالحة والقران (انظر ابن قتيبة ص ٨٦) .

والعُقبة : وهي بتثليث العين . وهي سواء والعِداد . قال أحد بني عامر :
لا تَطْعُمِ الْمَسْكَ وَالْكَافُورَ لِمَتِّهِ
ولا الذريرةَ الا عِقْبَةَ الْقَمَرِ
(اللسان : عقب)

أي أنه لا يتطّيب إلا مرة في العام .

والمنزلة : هي واحدة من ثمان وعشرين مجموعة نجمية ، يمكث القمر في كل منها ليلة واحدة ، والشمس ثلاثة عشر يوماً وسبع ساعة وهي مَفْعَلَةٌ من نزل ، بمعنى محل ومقام .

قال تعالى : « والقمر قدرناه منازل » (يس ٣٩)

أي قدرنا سيره في المنازل لتتخذوا من ذلك علامات على الحدود الزمنية والطبائع .

* * *

وبعد ، فهذه هي المفردات التي وردت في التراث العربي حتى نهاية القرن الهجري الثالث ، مما له ارتباط بالقمر ، سواء أكان اسماً له أم صفة أم متعلقاً به ، وقد أوردنا منها ما قام عليه دليل وشاهد من أي الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف وأدب العرب في الجاهلية والإسلام . ولا ندعي بذلك أننا قد أتينا بكل ما له ارتباط بالموضوع ، ومن ذا الذي يسعه جهده لأن يحيط بتراث العربية فلا يغادر منه شيئاً؟ وقد ذكرنا مصدر كل شاهد مع اقتباس بعده مباشرة ، ذلك أننا نرى الأمر أوفى بالغرض وإن كان يزعج القارئ أحياناً .

ونهدف من وراء ذلك إلى جمع المفردات والمعلومات التراثية اللغوية والأدبية التي تتعلق بالموضوع الواحد في دراسة جامعة موجزة ، توضع بين أيدي المدارسين والباحثين المحدثين ، الأمر الذي ييسر عملية اتصاّهم بالتراث . ونرجو أن نقدم خدمة متواضعة في مجال تعريب المصطلحات ، وأن يقف الدارس على عظمة العربية وتراثها ، ومدى الدقة في تسمية الأشياء عند العرب .

د . يحيى عبد الرؤوف جبر